دور الضباط الأتراك في مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا القومندان أنور باشا والقومندان نجيب الحوراني (أنموذجاً)

الدكتور/ سالم عبد الله الفلاح
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم
جامعة بنغازي – ليبيا

مقدمة

تعرضت ليبيا إلى غزو إيطالي استعماري بدأ في أكتوبر من عام ١٩١١م، وهدف إلى جعلها شاطئاً رابعاً لإيطاليا، واستمر هذا الوجود الإيطالي الاستعماري حتى عام ١٩٤٣م، أما وجودهم الاقتصادي فقد أستمر إلى ما بعد ذلك التاريخ، وقد واجهت القوات الإيطالية مواجهة عنيفة بدأت منذ أن وطأت أقدامها الأرض الليبية، واستمرت لأكثر من عقدين من الزمن دفع فيها الشعب الليبي كل رخيص وغال من أجل تحقيق حريته، والعيش حراً كريماً فوق أرضه.

وقد ظهر جلياً خلال هذه الفترة تلاحم عربي تركي ضد الغزاة، وخاصة من بعض ضباط وجنود الجيش التركي، رغم كل الظروف والصعاب، مما شجع الليبيين على مواصلة الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي للبلاد خاصة في السنوات الأولى من الغزو الإيطالي لليبيا.

لقد كانت ولاية طرابلس (ليبيا) هي الولاية الوحيدة الباقية للدولة العثمانية في شمال أفريقيا، فقد أحاط بها الاستعمار الغربي من عدة جهات، فقد شاهد الأهالي البلاد المحيطة بهم تسقط الواحد تلو الأخرى، ففرنسا فرضت الحماية على تونس في ١٨٨١م، وإنجلترا احتلت مصر ١٨٨٢، وذلك دفع بأهالي الولاية كما دفع بأهالي تونس ومصر قبل ذلك إلى أن يتجهوا صوب اسطنبول التي كانت تمثل في نظرهم قوة إسلامية يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الدول الأوروبية المستعمرة، وبذلك كان الخطر الغربي بالإضافة إلى الرابطة الدينية الإسلامية عاملاً على زيادة الروابط بين العثمانيين وأهالي ليبيا في هذه الفترة(١) .

أولاً: مجيء الضباط الأتراك ودورهم في حركة الجهاد الليبي ضد الإيطاليين:

اتضح أن الحكومة التركية قررت ألا تعلن الحرب رسمياً ضد إيطاليا التي هاجمت إحدى ولاياتها، وهي إيالة طرابلس وبرقة، واحتلت المدن الساحلية على الشاطئ الليبي في نهاية عام ١٩١١م، وأنها تعهدت أمام الدول الكبرى حينذاك بألا تغير من وضع قواتها العسكرية بليبيا، وقد التزمت بهذا التعهد منتظرة وساطة هذه الدول في حل قضية ليبيا سلمياً دون أن تتورط في حرب مع إيطاليا بقدر الإمكان تحسباً لما يمكن أن يحدث تطورات سياسية وعسكرية من الإمبراطورية العثمانية، كالبلقان مثلاً التي تهدد كيانها أكثر من ليبيا(٢) .

ومن جهة أخرى فقد احتجت لجنة الاتحاد والترقي بسالونيك على تصرفات الحكومة التركية تجاه احتلال إيطاليا للمدن الليبية، وعجزها عن الدفاع عن جزء من الدولة العثمانية، وهو إيالة برقة وطرابلس، وكان أقصى – ما استطاعت القيام به هو إرسال عدد من الضباط الأتراك إلى ليبيا ولو على مسؤوليتهم للمساهمة في حركة الجهاد الليبي ضد الإيطاليين، وهكذا غامر عدد من الضباط الأتراك بالدخول إلى ولاية طرابلس الغرب والدفاع عنها من خلال الأراضي المصرية والتونسية الواقعتين تحت النفوذ الفرنسي الإنجليزي آنذاك.

أ– منظمة تشكيلاتي مخصوصة:

لقد ارتبطت حركة الجهاد التي قادها الأتراك ضد الغزاة الإيطاليين في الفترة الواقعة ما بين نوفمبر سنة ١٩١١م وحتى ديسمبر ١٩١٢م ارتباطاً وثيقاً (بمنطقة الضباط الفدائيين الأتراك)، وعلى الرغم من أن دور هذه المنظمة السرية انتهى رسمياً بمقتضى التوقيع على

(١) خليفة محمد الدويبي، الأوضاع العسكرية في طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الإيطالي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٢٤.

(٢) مصطفى حامد ارحومة، المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ١٩٨٨م، ص ٢١٥.

معاهدة (أوشى/ لوزان) إلا أن بعض الضباط المنتمين إليها ظلوا على اتصال بحركة الجهاد في طرابلس الغرب وبرقة من حين لآخر حسب ما أملته الظروف السياسية للإمبراطورية العثمانية حتى نهاية سنة ١٩١٨م[١] .

وكانت هذه المنظمة جزءاً من تنظيم سري يعرف باسم (تشكيلات مخصوصة) وهي منظمة عثمانية سرية غامضة، مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للإمبراطورية ومكافحة التجسس الأجنبي عليها، فضلاً عن الدعوة إلى إنشاء رابطة لكافة الشعوب الإسلامية تحت علم الإمبراطورية العثمانية، وكان معظم المتسببين إليهم لهم صفة عسكرية، ومن جهة أخرى فإن بعض الرسميين ينظر إلى هذه المنظمة بعين الشك والخوف والرهبة، لما نسب إليها وإلى مثيلاتها التي أسست في عهد السلطان عبد الحميد من أعمال عسف وكبت للحريات في أنحاء الإمبراطورية العثمانية[٢]، وقد لوحظ من خلال التحقيقات فيما بعد أن أبرز أعضاء منظمة الاتحاد والترقي والمؤسسين لمنظمة تشكيلاتي مخصوصة بتاريخ الخامس من أغسطس سنة ١٩١٤م، هم أنور باشا[٣]، وطلعت باشا، وجمال باشا، ثم انضم إليها ضباط آخرون، ومنهم أشرف كوشجوباش، وسليم سامي، وسركيس رشيد وخسرو سامي، وكانت المنظمة ذات طابع سري ولا يعرف مدى حجمها، وكانت تنعم بميزانية سخية لاتصالها عن طريق وزارة الحربية، بل بطرق أخرى مشبوهة.

وقد لعب ضباط آخرون أمثال سليمان العسكري، وعصمت الله معتز وغيرهم أدوار بارزة في مغامرات المنظمة التي ازدادت اتساعاً أثناء حروب طرابلس والبلقان، وكذلك المحاولات الجديدة لتتريك شعوب الإمبراطورية وانبعاث الروح القومية لدى شعوب الإمبراطورية، وخاصة في البلدان العربية وشعوب البلقان، فضلاً عن زعزعة التسلط الاستعماري الروسي والفرنسي والبريطاني والإيطالي في المناطق الإسلامية.

ب- الضباط الأتراك الذين ساهموا في حركة الجهاد الليبي ضد الإيطاليين منذ عام ١٩١١م

١. العقيد/ الأمير نشأت بك، قائد قوات المجاهدين في العزيزية حول طرابلس في الفرقة ٤٢ المستقلة، وهو من مواليد هذه المدينة.
٢. الرائد أنور باشا، القائد العام لمعسكر المجاهدين في منطقة درنة.
٣. البيكباشي (مقدم) خليل قوت باشا، عم أنور باشا، من ضباط الفليق الخامس عشر – وقائد منطقة الخمس والمرقب، وقد دخل إلى ليبيا عن طريق الأراضي التونسية وسط مخاطر عديدة من السلطات الفرنسية بتونس، وقد سافر بالبحر ثم بالسيارة إلى الحدود ثم استعمل الدواب حتى وصل إلى طرابلس للالتحاق بالفرقة العسكرية هناك.
٤. الأميرالاي (عميد) ناظم بك، قائد الاي (لواء) الخيالة في فرقة طرابلس الغرب.
٥. المقدم شاكر بك، قائد لواء المشاة ١٢٤ في بنغازي ودرنة.
٦. المقدم أنور بك، قائد لواء المشاة ١٢٥ في غريان ومرزق.
٧. المقدم أحمد حسين، قائد لواء المشاة ١٢٦ بالخمس ومصراتة.
٨. العقيد جمال بك قائد لواء المشاة ١٢٧ حول مدينة طرابلس.
٩. الضباط مبارك اليمني يعمل التنسيق مع العقيد جمال بك كقائد لكتيبة الرماة على الحدود التونسية في أبي كماش.
١٠. طاهر بك، ضابط في القيادة العامة للفرقة العسكرية التركية.
١١. الرائد صالح بك، قائد لواء الفرسان رقم ٣٨، المكون من ٦ سرايا في منطقة طرابلس، بالإضافة إلى سرية أخرى في منطقة فزان.

(١) أنظر: مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب، تقديم وترجمة: عبد المولى الحرير، مراجعة حبيب وداعة، طرابلس، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، ١٩٧٩م، ص ١٣٦.

(٢) نفس المرجع السابق،١٩٧٩م،ص١٣٦

(٣) عين أنور باشا ملحقاً للشؤون العسكرية بالسفارة العثمانية في برلين من سنة ١٩٠٩م وحتى ١٩١١م.

١٢. اللواء عزيز بن اليمني، قائد الأركان العامة للجيش.

١٣. الرائد عبد القادر اليمني، قائد منطقة جنوب درنة.

١٤. أكرم بن المشير رجب باشا، والي طرابلس الغرب سابقاً، ضابط في القوة التركية في إيالة طرابلس.

١٥. سيف الدين استروف ضابط بسلاح المشاة التركي.

١٦. المقدم سريا بك الشجاع، آمر منطقة بنغازي.

١٧. النقيب الحاج أمين بيك، ضابط (نقيب) في سرايا المشاة.

١٨. فيصل بك، وقاسم بك، ومحي الدين بك، ضباط بالحامية التركية.

١٩. حمدي بك، ضابط استحكام.

٢٠. نقيب علي بك حسني قايا، ضابط بمنطقة درنة.

٢١. ممتاز بك، ضابط ومرافق للقائد أنور باشا في شرق ليبيا.

٢٢. رسوخي بك، ضابط مرافق أول للقائد مصطفى كمال أتاتورك.

٢٣. الملازم أول فاضل، ضابط بالجيش العثماني يتواجد بمنطقة دفنة بطبرق شرق ليبيا.

٢٤. فهمي بك، مرافق ثان للقائد مصطفى كمال بمنطقة درنة وطبرق.

٢٥. نوري بك، ضابط مشاة بمنطقة درنة.

٢٦. أشرف بك (قوجي باشي)، قائد قوات البدو (المجاهدين) في منطقة درنة.

٢٧. علي اليمني، ضابط في الجيش التركي من أصول عربية يمنية، استقر في ليبيا بعد الاستقلال، وتحصل على الجنسية من السلطات الليبية، وتقلد وظائف في مديريات الأمن العام في ليبيا، وتوفي منذ سنوات ودفن في ثرى ليبيا، ولا زالت ابنته وأفراد من عائلته موجودين بمدينة بنغازي في شرق البلاد، ومن الجدير بالذكر أن رسالة ماجستير تعدها طالبة بقسم التاريخ بجامعة بنغازي حالياً عن هذا المجاهد وسيرته النضالية ضد الاحتلال الأجنبي في ليبيا.

٢٨. العميد فتحي بك، رئيس أركان حرب الجيش التركي.

٢٩. القومندان نجيب الحوراني سيأتي ذكره بالتفصيل في سياق هذا البحث[١] .

٣٠. الرائد أنور باشا (١٨٨١ – ١٩٩٢م): استطاع بعد قدومه إلى برقة أن يساهم في حركة الجهاد الليبي ويؤسس معسكراً في منصور قرب درنة، ويجعل من مجاهدي المنطقة قوة ضاربة تقتدي بها القوات الإيطالية بدرنة، وحقق عدة انتصارات اعترف بها الإيطاليون أنفسهم[٢] ، وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل فيما بعد.

٣١. النقيب مصطفى كمال (أتاتورك) (١٨٨١ – ١٩٣٨م): الذي ساعد أنور باشا في قيادة مجاهدي جبهة درنة ضد القوات الإيطالية، ثم عاد عن طريق مصر بعد توقيع معاهدة الصلح في أوشى لوزان، وترأس الحكم في بلاده.

٣٢. الرائد علي فتحي أوقيار: كان ملحقاً عسكرياً بباريس قبيل الاحتلال الإيطالي، وقدم من فرنسا إلى مصر، ومنها إلى طبرق ثم درنة منها إلى طرابلس، حيث عين قائداً للعمليات العسكرية بجبهة طرابلس، وقد ساعد العقيد نشأت بك في قيادة المجاهدين، ثم عاد عن طريق مصر إلى فرنسا بعد توقيع معاهدة أوشى لوزان سنة ١٩١٢م.

---

(١) مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، (ت) وجدي كرك، مراجعة عماد حاتم، طرابلس، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، ص ٤١ – ٤٣.

(٢) رحومة، المقاومة الليبية، مرجع سابق، ص ١١٩.

٣٣. الرائد عزيز علي المصري: ضابط من أصول مصرية، قدم من اليمن وتولى قيادة حركة الجهاد حول بنغازي، واستمر بها حتى معاهدة اوشى، ثم خلف العقيد أنور باشا في قيادة المجاهدين بدرنة عند رجوع الأخير إلى تركيا سنة ١٩١٣م، وقد عاد إلى بلاده بعد معركة سيدي اكريم القرباع في ١٩١٣/٥/١٦م.

٣٤. الرائد خليل بك: عم أنور باشا، قدم عن طريق باريس، ثم تونس ثم طرابلس، وذهب بعدها إلى الخمس، وقد ساهم في حركة الجهاد، بالتعاون مع مجموعة الضباط الليبيين وأعيان البلاد، وهناك استطاع أن يحقق انتصارات بالمنطقة واستمر حتى توقيع معاهدة اوشى لوزان(١).

٣٥. الرئيس فؤاد بولجا قوش باش: ضابط وقائد في الجبهة التركية، قدم من ضمن الضباط الذين ساهموا في حركة الجهاد بمنطقة درنة، وكان له دور كبير في معارك درنة دونها في مذكراته التي حققها ونشرها جمال قوناي حول نخبة من الأبطال بطرابلس الغرب، وقد عين فيما بعد رئيساً لمؤسسة الطيران التركي.

٣٦. سليمان العسكري: ضابط تركي أصبح فيما بعد رئيساً لما يعرف بتشكيلات مخصوصة، ورئيساً للدائرة الخاصة بالاستخبارات العسكرية.

٣٧. أدهم باشا الحلبي: ضابط سوري الأصل، قاد المجاهدين في منطقة طبرق، بالتنسيق مع أنور باشا ومصطفى كمال، وسافر عن طريق مصر، واستقبل بحفاوة كبيرة بها.

٣٨. القائمقام علي خلقي الشرايري: رفيق الشهيد القومندان نجيب الحوراني، وقد عاد إلى تركيا بعد إعلان معاهدة السلام بين تركيا وإيطاليا في نهاية عام ١٩١٢م.

٣٩. **بعثة الهلال الأحمر التركي:**

وتتكون من: الطبيب نهاد سزائي لوران، ود. إبراهيم ثريا الذي جلب معه عدة مناظير للكشف الطبي إلى طرابلس، الطبيب دكتور فكرت رئيس الأطباء، في بك أوغلو، دكتور عارف، د. عزيز، د. إحسان، الصيدلي نصيب، وعدد (٢) ممرضين، د. إبراهيم، د. ناظم بك، و د. شاكر رضا بك، و د. علي رضا بك، أعضاء هيئة الهلال الأحمر المصري الذين تعاونوا مع الأطباء الذاهبين إلى ليبيا(٢).

٤٠. سلاح المدفعية:

يتكون من خمس كتائب عسكرية، وتحوي نحو (١٤) مدفع بطارية موزعة بين القلاع والجبال والصحارى الليبية ينتظم فيها الضباط والجنود العرب والأتراك.

ثانياً: الضابط القومندان: أنور باشا ودوره في الحرب الليبية

أنور باشا كان يدعي إسماعيل أنور بك بن أحمد، ولد في اسطنبول سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٢م، وكان والدة تركياً، أما والدته عائشة هانم فقد كانت ألبانية الأصل، أما جدته لأبيه فتنحدر من أصول شركسية، وقد دخل المدرسة العسكرية الثانية في ولاية منستر (يوغسلافيا الحالية) وبعد أن تخرج منها التحقق بالكلية العسكرية في اسطنبول، واشتغل كضابط في إحدى قطاعات الجيش العثماني في سالونيك، وساهم مساهمة فعالة في محاربة عصابات البلغار واليونان المتمردين عن الحكم العثماني آنذاك، فنال بعد تلك الحرب لقب بطل الاستقلال(٣)، ورقى إلى رتبة رائد، وبعث كملحق عسكري في برلين بألمانيا وظل يشغل هذا المنصب من سنة ١٩٠٩م حتى ١٩١١م.

---

(١) أنظر نفس المرجع، ص ١٢٠.

(٢) للمزيد أنظر: رحومة، المقاومة التركية، مرجع سابق، ص ٤٩ وما بعدها.

(٣) مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص ٣٦.

وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على الإمبراطورية العثمانية بغزوها لإقليم طرابلس الغرب، عاد أنور من برلين مسرعاً، فشكل بالتعاون مع ضباط تشكيلات مخصوصة قوة ضاغطة على الحكومة العثمانية، لكي تنتشل سمعتها التي مرغت في الوحل أمام الشعوب الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

اسطنبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية في ٩/ أكتوبر ١٩١١م:

يقول أنور باشا في مذكراته: "شعوراً منا بضرورة تأدية الواجب الملقى على كواهلنا إزاء العالم الإسلامي الذي يتوقع منا الذود عن حياضه، وأثر لقائي بالسلطان التركي، وبعد مناقشات واجتماعات عديدة، قررت السفر إلى ليبيا على ظهر باخرة متنكراً رغم المخاطر باسم الدكتور (هـ/ س) خريج كلية لم أعرفها ولم أدرس بها في يوم من الأيام".

الإسكندرية في ١٥/ أكتوبر ١٩١١م:

"وصلنا إلى مدينة الإسكندرية المصرية، وبقينا على ظهر السفينة منذ ظهر أمس في الميناء انتظاراً لإجراءات الحجر الصحي، وطبقاً للتقارير الواردة إلينا من طرابلس، فإن الفرق العسكرية الإيطالية قد نزلت الساحل الليبي، واستمرت في التقدم، وهي الآن تسيطر على الشريط الساحلي بأكمله، ومن جهة أخرى فإن معنويات الضباط والجنود الأتراك وعامة أفراد الشعب الليبي مرتفعة، غير أن الحاجة ماسة للتجهيزات والأسلحة والمعدات ومواد التموين... الخ".

ويذكر الضابط أنور باشا قائلاً: "بينما نحن في مصر تبرع لنا مواطن مصري بمبلغ ستة آلاف دينار كمساهمة في المجهود الحربي ضد الاحتلال الأجنبي في ليبيا"(١) .

دعم الشعب المصري للمجهود الحربي في ليبيا:

رغم أن السلطات الإنجليزية في مصر كانت تضيق كثيراً على وصول الدعم المادي لليبيين، وخاصة فيما يتعلق بالسماح للضباط الأتراك بالدخول إلى ليبيا، إلا أن الدعم الشعبي كان كبيراً وعلى امتداد سنوات الحرب الطويلة، فقد ذكر القائد أنور باشا بأن المواطنون المصريون جمعوا ما قيمته خمسة عشرة ألف جنيه تركي في وقت قصير، كما أن أحداً في مصر – لا يخفي عواطفه تجاهنا، وقد أخبر السيد أنور باشا من قبل مستقبله السيد عارف باشا بأن أربعة آلاف فارس من الخيالة المصرية يقفون على أهبة الاستعداد دعماً لإخوانهم الليبيين.

لقد قام بعض المشائخ والأعيان المصريين مثل الأمير عمر طوسون والشيخ حمد الباسل بعدة حملات خيرية لجمع التبرعات العينية لصالح المجاهدين الليبيين، من أرز ودقيق وملابس ونقود وأسلحة وذخائر، وكانت تصل باستمرار إلى صفوف المجاهدين حتى لحظة إقامة الأسلاك الشائكة بين الحدود الليبية والمصرية، وذلك بواسطة السفن والسيارات وقوافل الإبل... الخ.

لقد كانت مساهمات وتبرعات الشعب المصري والقبائل العربية في صحراء مصر الغربية رجالاً ونساءً إلى إخوانهم الليبيين كبيرة، فقد تبرعت النساء بما استطاعت من ذهب وفضة وملابس، وبلغ الحد بأحدى النساء أن تبرعت بكامل ما تملك من حلي ومجوهرات وملابس، وباعت أثاث بيتها وقدمت ثمنه البالغ ٧٣٧ ليرة تركية إلى لجنة التبرعات لصالح حركة الجهاد في ليبيا، وهي فخورة بذلك إرضاء لعروبتها ودينها(٢) .

التوجه نحو جبهة القتال في شرق ليبيا بتاريخ ٢٤/ أكتوبر ١٩١١م:

بعد القيام ببعض التجهيزات وارتداء ملابس مناسبة لعبور الصحراء المصرية الغربية وتنكر في زي تاجر عربي سوري سافر أنور باشا ورفاقه بالقطار، ثم بسيارة شحن إلى منطقة الضبعة، في شرق مصر، وفي اليوم التالي كانت قافلتنا كما يقول أنور باشا على أهبة الاستعداد، وتتكون من خمسة خيول عربية لي ولرفاقي، ولحمل بعض العفش الخاص بنا، فهذا كل جيشي الآن، وفي الصباح كنا نحتسي

---

(١)المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢)محمد محمد الطوير: العوامل المساعدة في حركة الجهاد الليبي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ط٢، ص ٣٦٥.

أكواب الشاي في ظل بيت أحد مشايخ أولاد علي في الأراضي المصرية، وعلمنا بأن شيخ الطريقة السنوسية السيد أحمد الشريف السنوسي الذي يمتد نفوذه على أواسط أفريقيا يقف هو الآخر بجانبنا(١)، وبعد نحو (٢٤) ساعة من السفر على ظهور الخيل، وصلنا إلى زاوية دفنه بمنطقة السلوم، حيث شاهد أنور بك لأول مرة الجنود الإيطاليين، ولاحظ ارتياح العرب لوصول الرائد أنور باشا، صهر الخليفة العثماني غير المتوقع بينهم، وقد مر في طريقه بطبرق وأم الرزم، ومرتوبة ثم درنة، وقبل وصوله إلى الأراضي الليبية بأيام قليلة كان المجاهدون الليبيون وعدد مائة وعشرون جندياً تركياً قد اقتحموا مدينة درنة وهاجموا القوات الإيطالية فيها، وقد خسروا أربعة وعشرين شهيداً، بينما استولوا على ثمانية عشرة مدفعاً إيطالياً، كما قتل وجرح وأسر عدد كثير من الجند الإيطاليين.

احتلال درنة في شرق ليبيا:

تقع هذه المدينة الساحلية على بعد نحو ٣٠٠كم شرق بنغازي، ونحو ١٥٠ كيلو متر غرب طبرق، وقد توجهت القوات البحرية الإيطالية بعد أن انتهت من احتلال طبرق نحو درنة في ١٥/ أكتوبر ١٩١١م، وشرعت حال وصولها إلى شواطئها في قصفها بعد أن رفضت الحامية التركية التي كانت فيها الاستسلام، وكان عددها لا يزيد عن (١٠٠) مقاتل، واستمر القصف حتى ١٧/ أكتوبر، وفي اليوم التالي انسحبت الحامية التركية إلى عين بو منصور، وتجمع المجاهدون بقيادة مشايخ القبائل استعداداً لبدء المقاومة ضد الغزاة الطليان(٢) ، في هذه الأثناء قدم أنور باشا ليتولى قيادة الجهاد في المنطقة الشرقية، وكان يعاونه عدد من الضباط في مقدمتهم مصطفى كمال، ولفت نظرهم ارتفاع الروح المعنوية للمجاهدين وسرعة استيعابهم للتدريب، وقد ساهمت طبيعة البلاد الجبلية من حيث التضاريس والأودية والمرتفعات القريبة من المدينة في مساعدة المجاهدين على الصمود ومكنتهم من حماية طرق الإمداد التي كانت تأتي من مصر ، كما ساعدتهم في محاصر القواعد الإيطالية داخل حدود مدينة درنة(٣) .

ويبرز لنا أنور باشا الصورة قائلاً: لقد أخذت القبائل العربية بأسرها تبعث بالمحاربين الذين بدأوا يفدون في جماعات صغيرة، كل يحمل ببندقية على كتفه، وقد لف ذخيرته بمنتهى الحذر والحيطة، وكان كل واحد منهم مزود بكيلو جرام من الدقيق، وكل عشرة محاربين مزودين بجمل يحمل خيمة لإيوائهم، ومعهم امرأتين من قبيلتهم لإعداد الطعام وتضميد الجرحى، وإثارة حماس المجاهدين ورثائهم عند استشهادهم، لقد ازداد هذا العدد من ٩٠٠ مقاتل عند وصوله إلى أكثر من ستة عشر ألف خلال فترة قصيرة، لقد أبدى المجاهدون الليبيون براعة في فهم الأسلحة الحديثة والتدريب عليها واستخدامها ضد العدو الإيطالي، لقد وصلتنا نحو ١٠٠٠ بندقية مورز، وكمية كبيرة من الرصاص، و٤ مدافع بعيدة وقذائف يدوية... الخ.

إن خيمتي الخاصة كانت تبدو لي كالقصر، فقد خصص لي خيمتان من صنع مصري، إحداهما للنوم والأخرى للاستقبال.

ويضيف أنور باشا قائلاً: "لقد أخذ المتطوعون يتوافدون علي من كل القبائل، فيا لهم من رفاق عظام، كانوا طوال القامة، نحاف البنية، أقوياء العضلات، ملتحفين بعباءاتهم فوق جلابيبهم البيضاء الفضفاضة المطرزة، فلا يبدو من أجسادهم سوى وجوههم السمراء ذات التقاطيع الرائعة، وعيونهم البراقة، وأسنانهم البيضاء الناصعة، وكان سلوك هؤلاء العرب ينم عن كرم خلق وعراقة لا تضاهى، إن تفاني وإخلاص رجال ذلك الجنس يدعو المرء إلى تقديرهم والاعتزاز بهم(٤).

لقد كانت القوات المتواجدة بدرنة تقدر بنحو ١٥٠٠ جندي من المشاة، فضلاً عن مجاهدين ليبين من ثلاث قبائل عربية تقطن المنطقة، وتتزايد أعدادها يوماً بعد يوم.

---

(١) مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) رحومة، المقاومة الليبية، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٣) خليفة محمد الثليسي، معجم معارك الجهاد الليبي، ١٩١١م، ١٩٣١، طرابلس/ تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٣م، ص ٣٢٦.

(٤) مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص ٥٧.

وقد التقى أنور باشا بأحد الضباط الأتراك من أصول عربية يمنية، ولعله موسى اليمني، ومصطفى كمال أتاتورك، وبدأ التنسيق معهم لإدارة العمليات الحربية في المنطقة، وتقييم الموقف الحربي، وبدء تنظيم المجاهدين الليبيين وتدريبهم على استعمال الأسلحة وفنون القتال، والاستفادة من حماسهم المنقطع النظري في قتال الأعداء الطليان.

وهكذا اشتدت مقاومة المجاهدين للقوات الإيطالية بدرنة، وارتفع مستوى تدريبهم نظراً لاهتمام أنور باشا بتنظيم حركة الجهاد بالمنطقة، حيث تم استلام تسع قطع مدفعية من تركيا ووضعت في أماكن مناسبة لضرب مواقع القوات الإيطالية الغازية، مما اضطر الحكومة الإيطالية إلى جلب المزيد من القوات إلى درنة، وأجبرتها على تغيير قواتها بنقل الجنرال ترومبي، وإحلال الجنرال ريتزولي الذي كان بالخمس في غرب ليبيا محله، كما اشتكى رويتزلي نفسه من دور المدفعية التي كانت لدى المجاهدين، عندما أخبر حاكم مدينة درنة حينذاك بأن أنور باشا لديه مدفعية محدودة، ولكنه يستطيع نقلها من مكان لآخر وإخفائها كما يشاء لمعرفته بطبيعة الأرض(١) .

الموقف يوم ١١/ ١١/ ١٩١١م:

وصل الضابط أنور باشا في هذا التاريخ إلى مدينة درنة المحتلة من قبل الإيطاليين بجواز سفر باسم حمدي بك وبصفته تاجر سوري، وقد بدأ في تقيين الموقف العسكري بالنسبة للمجاهدين، وقرر وضع خطة للتدريب والتنظيم وإدارة المعركة، فقد لاحظ أنور بك أن المجاهدين من القبائل الليبية المجاورة تتشكل في جماعات حوالي عشرة مجاهدين وتصل إلى مائة مجاهد في بعض الأحيان، وتقوم بتطويق القوات الإيطالية ومقار جنودها والإغارة عليهم كلما سنحت الفرصة لذلك، كما وجد هذه القائد أن خزينة الحكومة التركية في المنطقة التي كان يقود فيها العمليات العسكرية فارغة باستثناء سبع دينارات، وكما يذكر في مذكراته أنه استدان عشرين ديناراً من شيخ مصري لسداد بعض مصروفاته، ولم ينس العوامل التي ساعدته في تنفيذ مهامه، ومنها طبيعة الجبل الأخضر الساحرة وهواءه العليل الصافي وتشجيع النسوة من بنات وزوجات وأخوات وتحريضهم للمجاهدين بالزعاريد والدعم والمساندة والتمريض على استمرار المقاومة ضد المحتلين، إنها ذكريات لا تنس. وفي معرض تقييمه للساحة والمواقع التي يتمترس فيها الطرفان، حيث شن المجاهدون الليبيون والأتراك غارة على معاقل الإيطاليين في هذه المدينة في نهاية نوفمبر ١٩١١م من نفس العام. يقول أنور باشا: "بتاريخ ٢٨/ نوفمبر/ ١٩١١م قمت بجولة على صهوة جوادي في منطقة بئر الخيل على مقربة من مواقع الإيطاليين في درنة، ومررت بموقع المعركة التي جرت أمس، فوجدت ساحة المعركة قد امتلأت بالجثث المتناثرة في كل مكان، ومنها جثة عريف أسود اللحية كانت ملقاة بمفردها، وبالقرب منها كانت ترقد جثة إيطالي لازال في ريعان شبابه أصيب بطلقة اخترقت جمجمته، وعلى مقربة منه كانت أكوام من الجثث المكرسة فوق بعضها البعض"(٢) .

الحامية العسكرية في طرابلس (ليبيا):

لقد كانت الحامية التركية في إيالة طرابلس وبرقة تتكون من نحو (٥٠٠٠) جندي وضابط تنتظم في تراتيب عسكرية على النحو التالي:

١. فرقة عسكرية برئاسة ضابط برتبة فريق.
٢. تنقسم الفرقة إلى ثلاث الوية (الايات) ويرأس كل لواء ضابط برتبة عميد (ميرالاي) أو عقيد (قائمقام).
٣. يتكون كل لواء من ثلاث كتائب، ويقود كل كتيبة ضابط برتبة مقدم (بكبياشي) ويساعده ضابط برتبة رائد (قول غامس)، وحامل العلم (سنجقدار) وطبيب عام وجراح من العسكريين.
٤. تنقسم الكتيبة إلى عشر سرايا، وكل سرية برئاسة نقيب (يوزباشي) ويساعده رئيس عرفاء (باش شاوش) وعريف (شاويش) ونائب عريف (امباشي).

(١) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، القاهرة، مطبعة الجريد، ١٩٤٧م، ص ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

(٢) مذكرات أنور باشا، مرجع سابق، ص ٥٧.

٥. كما تضم الحامية التركية عدد من الإدارات العسكرية تتمثل في هيئة الأركان برئاسة عميد، وهيئة الإدارة برئاسة عقيد، بالإضافة إلى هيئة الإنشاءات العسكرية، وهيئة الحسابات والصحة والهيئة الحربية، وتتكون من المشاة والفرسان والمدفعية.

٦. أما الرتب العسكرية فكانت على النحو التالي:

فريق، لواء، عقيد، مقدم، رائد، نقيب، ملازم أول، ملازم ثاني، رئيس عرفاء، عريف، نائب عريف وجندي.

بداية شهر ديسمبر ١٩١١م:

خلال هذه الفترة وصلت بعثة طبية إلى معسكر المجاهدين في درنة، في الوقت الذي قصفت فيه قوات الأسطول الإيطالي منطقة خليج البومبا وفي ٩/ ١٢/ ١٩١١م وصل الضابط مصطفى كمال إلى شرق ليبيا بعد أن رقي إلى رتبة رائد، وقام بالتنسيق مع أنور باشا لخوض الحرب ضد الطليان في هذه الجبهة.

معركة عين بو منصور بدرنة، ٢١ ديسمبر ١٩١١م:

وتحت قيادة أنو بك ومصطفى كمال تصدى المجاهدون لمحاولات القوات الإيطالية في التحرك إلى وادي درنة لإصلاح مجاري مياه الشرب، وتمكنوا من طردها في يوم ٢١ ديسمبر ١٩١١م والاستقرار بمكانها، وكان من نتائج هذه المعركة مقتل (٤٠٠) من الجنود والضباط الإيطاليين، كما جرح خمسين آخرين، وغنم المجاهدون ٣٠٠ بندقية و ١٣ بغلاً محملة بالذخيرة، كما تم أسر عدد من الجنود الإيطاليين.

معركة الناظورة بطبرق في ٢٢ ديسمبر ١٩١١م:

استمرت محاصرة القوات الوطنية للقوات الإيطالية حتى خرجت لمنطقة هضبة الناظورة المرتفعة جنوب ميناء طبرق في ٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩١١م، وقد قام قائد المجاهدين الشيخ المبري بو ياسين العبيدي والضابط في الجيش التركي المقدم أدهم الحلبي باقتحام هذه الموقع الحصين، واستمرت المعركة طوال اليوم، وتزايد عدد المجاهدين الليبيين فيها حتى وصل إلى قرابة الفي مجاهد، وكان نتيجتها سقوط ضابطين إيطاليين وخمسة جنود قتلى وعشرات من الجرحى، كما استشهد وجرح عدد من المجاهدين، وغنم المجاهدون بضع مدافع سريعة الطلقات[١]

المعارك التي قادها وخطط لها أنور باشا خلال عام ١٩١٢م في شرق ليبيا:

- في ٢٢/ يناير/ ١٩١٢م: بناء على الخطط التي رسمها أنور باشا قاد الرائد مصطفى كمال المجاهدين وحققوا انتصاراً على الإيطاليين في معركة قصر الهارون قرب درنة، كما وقع اشتباك آخر يوم ٢٧ من نفس الشهر بنواحي هذه المدينة.
- في ٣/ مارس: دارت معركة حامية استمرت تسع ساعات بقيادة أنور باشا، وقد كانت خسارة الإيطاليين نحو (٢٢) من الجرحى، واستمرت أحداث المعركة إلى اليوم التالي، حيث صد الإيطاليون هجوم المجاهدين عليهم في مواقعهم بالحراب.
- في ١١/ مارس: شن المجاهدون العرب والأتراك هجوماً على القوات الإيطالية في مدينة طبرق، واندلعت معركة بين الطرفين استمرت لمدة أربع ساعات، وأدت إلى مقتل أربعة عشر جندياً إيطالياً، وانسحب طابوران من المعركة وبطارية جبل بصعوبة بالغة، وفي نفس الشهر تقرر انسحاب بعض الضباط والجنود من ليبيا، ورغم ذلك استمرت القوة العربية التركية في المقاومة وقطعت امدادات المياه عن الإيطاليين في درنة رغم استمرار قصف الأسطول الإيطالي على خليج بومبا ومدينة درنة وسوسة الساحليتين.
- وفي ٢٣/ مايو/ ١٩١٢: تقديراً لدوره البطولي فقد تم ترفيع أنور باشا إلى قائمقام (عقيد)، وفي هذه الأثناء استلم برقية من المجلس العثماني بأن الأتراك الموجودون في طرابلس عازمون على القتال حتى آخر لحظة ولم يعيروا أي اهتمام للمفاوضات الدائرة بين تركيا وإيطاليا.

(١) مصطفى أرحومة، الغزو الإيطالي لليبيا وبداية المقاومة الوطنية، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس، ص ٦٩.

- بتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩١٢م: علم أنور باشا بتغيير الحكومة العثمانية في اسطنبول، وقد أعلنت هذه الحكومة أنها ستستمر في الدفاع عن الوطن ضد الهجمات الموجهة إلى بلادنا إلى أن يحل السلام الضامن لحقوقنا وكرامتنا كما يقول في مذكراته.
- في ١١/ سبتمبر من نفس العام: سيطر الإيطاليون على مدينة درنة من خلال طريق قصر اللبن وطريق سيدي عزيز الاستراتيجيين، وحدثت معركة استمرت (١٦) ساعة، وقد أشيع نبأ مقتل أنور باشا في هذه المعارك، في الوقت الذي كان والده في زيارة له في جبهة القتال في الشرق الليبي.

معركة راس اللبن في ١٤ سبتمبر ١٩١٢م:

خاض المجاهدون الليبيون بقيادة أنور باشا معركة رأس اللبن جنوب درنة، حيث قامت القوات الإيطالية بمحاولة احتلال هذا الموقع الإستراتيجي الهام لإظهار قوتها أمام تركيا في المفاوضات الجارية بينهما في سويسرا، ففي ٢١ شوال ١٣٣٠هـ الموافق ١٤/ ٩/ ١٩١٢م تحركت قوة إيطالية مجهزة نحو رأس اللبن وبيت هارون ووادي العليقات و٢٠ ك. م جنوب مدينة درنة، وقد جرت في هذا المكان معركتان لاحتلال الموقع واسترداده من قبل المجاهدين، وقد قاد القوات الإيطالية كل من الجنرال سالسا، والجنرال قابليو، والجنرال دي بوونو، بدعم مدفعي من المدرمة الإيطالية (سان ماركو).

بينما قاد المجاهدون من وادي بو مسافر القائد أنور باشا، وتمكنت القوات الغازية بعدتها وعتادها من السيطرة على الموقع بعد معركة ضارية، وبتاريخ ١٧/ ٩ حاول المجاهدون استرداد موقع معسكراتهم، وقد أصدر أنور باشا أمره بالهجوم على القوات الإيطالية وحدث اشتباك استمر حتى المساء وسقط عدد من الشهداء والجرحى وقتل عدد آخر من الإيطاليين[١] .

ويقول أنور باشا: "لقد كان يوماً دموياً حقاً، وإن صفحة جديدة من تاريخ هذه الحرب قد سطرت، منذ واجهنا عدواً يتألف جيشه من أربع وعشرين كتيبة، وأربع مدافع ميدان، ومدافع جبلية[٢] ". مما يذكر أن خسارة المجاهدين هذه المعركة كانت ثمانية وتسعين شهيداً، ونحو مائة وخمسة وثمانون جريحاً، بينما خسائر الإيطاليين كانت حوالي ثمانمائة بين قتيل وجريح، غير أن المصادر الإيطالية تقول عن خسائر جيش أنور باشا في هذه المعركة بأنها كانت (١١٣٥) قتيلاً[٣] .

وفي وصف هذه الفترة العصيبة يقول القائد التركي خليل قوت باشا ما يلي: "لقد حاربنا هنا زهاء سنتين كاملتين، ولا أقدر الآن على سرد الأحداث التي عشناها في خضم هاتين السنتين بكل تفاصيلها، إن هاتين السنتين المليئتين بأحداث البطولة هي الآن ملك التاريخ، لقد حارب الجندي التركي، مثلما حارب في كل مكان ، بشجاعة وبطولة ومروءة وبتضحية تفوق المنطق والعقل، لقد كنا نحصل على الرصاص من قذائف مدفعية العدو"[٤] .

- في ٢٣ سبتمبر: أبلغ السيد أحمد الشريف أنور باشا بأنه والمجاهدون معه سيواصلون القتال ضد المحتلين الطليان، حتى وإن توصل الباب العالي إلى عقد اتفاقية سلام مع الإيطاليين المحتلين.
- وفي ١٨/ ١٠/ ١٩١٢م: تم توقيع اتفاقية السلام بين تركيا وإيطاليا فيما عرف بصلح أوشى لوزان بسويسرا. وبعد ثلاثة أيام تم إبلاغ القائد أنور باشا من قبل القادة الإيطاليون عن طريق الضابط أشرف بك، وعن طريق الصحف الأوروبية بصلح أوشي لوزان بين تركيا وإيطاليا.

المفاوضات وصلح أوشى لوزان، ١٨/ ١٠/ ١٩١٢م:

رغم توقيع معاهدات الصلح لم يتردد أنور باشا في مواصلة الكفاح بما توفر لديه من إمكانيات بشرية وعسكرية اقتصادية، وكان موقفه في ذلك مغايراً لموقف نشأت باشا في غرب البلاد، أما بالنسبة للضباط الأتراك فقد اقتراح إرسال من لا يريد البقاء في ساحة القتال

(١) أنظر رحومة، مرجع سابق، ٧٩.

(٢) مذكرات أنور، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٣) التليسي، مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٤) خليل قوت باشا، مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، ت، وجدي كدك، ج. ع. ل، مركز بحوث دراسات الجهاد الليبي، ١٩٧٩م، ص ١٨٠.

في ولاية طرابلس وبرقة على أن يرسلوا فرادى وبطرق مختلفة إلى ترك يا عبر مصر، وعليه فقد تم إرسال مصطفى كمال والنقيب فؤاد بولجا، وقرر إبقاء الأسلحة للمجاهدين، وحاول تدريب المجاهدين على سلاح المدفعية الرشاشة وبعض فنون الحرب وإدارتها، وعلل أنور باشا سبب بقاءه بأن السيد أحمد الشريف وبعض زعماء المقاومة الوطنيين يريدونه أن يبقى ولم يقبلوا أي عذر منه، وكان يريد من ذلك إبقاء جبهة القتال كما هي عليه برغم أنه أوقف القتال في الموعد المحدد[١] .

وفي ٢٢/ ١٠ استلم أنور بك برقية من وزارة الحربية التركية تأمره فيها باجتناب الأعمال العدوانية المخلة بالصلح، غير أن قواته صدت هجوماً إيطالياً على درنة وقائدها الذي رفض الصلح.

موقف السيد أحمد الشريف:

في أثناء وقوع الاعتداء الإيطالي على البلاد كان السيد أحمد الشريف مقيماً بالكفرة بجنوب ليبيا، حيث كان يوجه المقاومة العسكرية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية في الجنوب، التي حاولت أن تتقدم من حوض تشاد نحو الشمال، وبعد أن علم بنبأ الهجوم على ليبيا، استشاط غضباً، وعبر عن رفضه للاحتلال والاستلام، قائلاً: "والله نحاربهم – أي الطليان – ولو لوحدي بعصاي هذه"[٢] لقد كان لإعلان أحمد الشريف للجهاد ضد الطليان أثر كبير في سير حركة المقاومة في المنطقة الشرقية، فقد بث الحماس في قلوب المجاهدين من أبناء القبائل، وأثر في رفع معنوياتهم، وجعلهم يتدفقون على المعسكرات بأعداد كبيرة.

لقد تميز موقفه في تلك الفترة بتعاونه المطلق مع الضباط الأتراك بقيادة أنور باشا في منطقة درنة، وذلك من أجل دعم الجبهة وضمان استمرارية حركة الجهاد ضد العدوان، وقد تمثل ذلك التعاون في الاتصالات والمشاورات المستمرة التي كانت تجري بين أحمد الشريف في الجعبوب والضابط أنور باشا في درنة خلال السنة الولى من الاعتداء الإيطالي، وكان يدلي خلالها بتوجيهاته وإرشاداته إلى المجاهدين[٣] .

لقد كانت الرسائل والتقارير والوفود تتبادل بين الطرفين، وكان محور تلك الاتصالات يدور حول قضية المقاومة، والعمل على تنسيق الجهود، ووحدة الصف ودهم الجبهة، والسعي من أجل توفير المؤن والحصول على الإمدادات العسكرية، وقد أعرب أنور باشا مراراً في مذكراته عن ارتياحه وتقديره لأحمد الشريف شخصياً، وللجهود التي بذلها من أجل دعم حركة المقاومة، ورفضه القاطع لاتفاقية لوزان واحتجاجه عليها، وإصراره على التمسك بمبدأ المقاومة[٤]، وأنه سيواصل الحرب بنفسه مع القائد التركي أنور باشا إذا ما تخلت الدولة العثمانية عن البلاد. وفي هذا الصدد يقول أحمد الشريف في رسالة إلى أنور بك: "فقد بلغنا أن دولتنا العلية (الدولة العثمانية) أيدها الله ستتفق بإشارة من الدول على إعطاء طرابلس (ليبيا) إلى القوم الطغاة، إن دماء أبنائنا ما زالت تراق على أديم الصحراء فداء للدولة والدين، فلا نقبل صلحاً بوجه من الوجوه، وليكن هذا في علمك من الآن (يقصد أنور باشا) فنحن والصلح على طرفي نقيض، وإنما أقول في الختام إن هذه الصلح قد يسبب نفور المسلمين في جميع الأمصار من الدولة العثمانية"[٥] .

نماذج للنظم الإدارية والعسكرية التي طبقها أنور باشا في ليبيا:

خلال السنوات التي قضاها أنور باشا في ميدان القتال اتخذ جملة من القرارات والإجراءات لتنظيم جبهة المجاهدين إدارياً وعسكرياً، ومنها على سبيل المثال:

---

(١) مصطفى أرحومة، صلح أوشي لوزان، أكتوبر ١٩١٢م، بحوث ودراسات في الجهاد الليبي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٩٧.

(٢) عبد الله إبراهيم، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد، طرابلس مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ١٠٩.

(٣) عبد الله إبراهيم، آثار الصلح، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٤) نفس المرجع، ص ١١١.

(٥) عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص ١١١.

١. نظم الأمور الإدارية وشؤون الحكم وطبق القوانين العسكرية والمدنية في المنطقة معتمداً على تقسيمها الجغرافي حسب وجود الزوايا السنوسية، وبمساعدة مشائخ هذه الزوايا ومشائخ وأعيان القبائل المحيطة بها.
٢. أما الجيش فقد ألفه من ثلاث ألوية مشاة تنقسم إلى تسع كتائب وعدد سبعة وعشرين سرية وما يزيد عن أربعة آلاف مقاتل (المحافظي) فضلاً عن نحو خمسة عشر امرأة كمساعدات في المعسكر، بالإضافة إلى ثلاث سرايا مدفعية مزودة بنحو أثنا عشر مدفعاً، وثلاث سرايا للفرسان يصل مجموعها إلى نحو ثلاثمائة فارس.
٣. كانت ميزانية الجيش ومصدرها الضرائب تقدر بنحو عشرة ألاف جنيه تركي، وقد صرف منها على تسليح وتموين الجيش نحو تسعة آلاف جنيه، وكانت كل السلع والمؤن والإمدادات تصل عن طريق مصر[١] .
٤. وفي مجال التعليم: فتح أنور باشا عدداً من المدارس لتعليم العلوم العسكرية وفنون الحرب واللغة العربية والتركيبة وحفظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ التمريض والعلاج، فضلاً عن أنه أرسل عدداً من الطلبة للدراسة بتركيا.

مغادرة أنور باشا لجبهة القتال في الجبل الأخضر بشرق ليبيا:

عقب التوقيع على معاهدة أوشي لوزان في أكتوبر ١٩١٢م، والتي أنهت حالة الحرب بين تركيا وإيطاليا، قامت الحكومة التركية على الفور باستدعاء أنور باشا من ميدان القتال في منطقة درنة، كما فعلت مع الضباط والجنود في الجبهة الغربية، لقد عز على أنور باشا مغادرة الميدان، وهدم التنظيمات الإدارية والعسكرية التي أرسى دعائمها لصالح حركة الجهاد في أثناء وجوده بمنطقة درنة، والتي أثبتت فعاليتها في مقارعة الأعداء، وهنا وجد أنه من الأنسب ألا ينسحب من الميدان بصورة مفاجئة ويترك فراغاً سياسياً وعسكرياً تستغله إيطاليا في فرض سيطرتها على البلاد بسهولة وإجهاض المقاومة الوطنية.

وعليه فقد قرر ترتيب الأمور بالتنسيق مع السيد أحمد الشريف نظراً لمواقفه الواضحة من العدوان الإيطالي، ولما يتمتع به من مكانة مرموقة بين القبائل، ومن أجل ذلك قام القائد التركي أنور باشا بزيادة سريعة إلى منطقة الجغبوب جنوب طبرق بنحو ٢٥٠ كيلو متراً في نوفمبر ١٩١٢م للتشاور مع السيد أحمد الشريف، وقد تمخض الاجتماع بين الطرفين على تسليم جميع الأمور في المنطقة الشرقية لأحمد الشريف، وتنصيبه قائداً عاماً لحركة الجهاد بها، كما تم الاتفاق على تعيين عزيز على المصري قائداً عسكرياً لمعسكرات المجاهدين بدلاً من أنور باشا، وذلك نظراً لخبرته في الشؤون العسكرية[٢] .

وهكذا استطاع السيد أحمد الشريف أن يسد الفراغ السياسي العسكري الذي تركه أنور باشا في المنطقة الشرقية، ومن ثم تمكن من الحفاظ على تماسك الجبهة وضمن استمرارية الجهاد. وفي هذا الصدد يذكر أنور باشا القصة التالية:

"عشية مغادرتي وصل من بنغازي التلاميذ الذين نويت إرسالهم إلى المدارس التركية في اسطنبول، وقد أدوا أمامي النشيد الوطني، وعند سماعي لأنغامهم وهم ينشدون دار في خلدي مدى بشاعة أن نسلم هذه الأرض وأهلها العظماء، ولم أتمالك نفسي إزاء هذا الموقف فاغرورقت عيني بالدموع"[٣] .

غادر أنور باشا برقة متنكراً عن طريق مصر، وعلى ظهر سفينة إيطالية إلى برنديس ومنها إلى فينا، ثم إلى القسطنطينية وعُين وزيراً للحربية في تركيا حيث لعب دوراً حاسماً في مصير بلاده السياسي.

(١) أحضر السيد أنور معه مبلغ ٥٠٠٠ جنيه تركي صرفها على المجهود الحربي في برقة.

(٢) أنظر، عبد الله إبراهيم، صلح لوزان، مرجع سابق، طرابلس، ص ١١٣.

(٣) مذكرات أنور باشا، ص ١٠٤.

وفاته:

في سبيل غايه مقدسة وهي الجهاد في سبيل الله ورفع راية الدين الإسلامي عالية خفاقة نال أنور باشا شرف الشهادة وسالت دمائه على تراب محل شاه خان من ولاية (بلخ جوان) في جبهة تركستان في بخاري بآسيا، وذلك بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٢٢م، (رحمه الله رحمة واسعة).

ثالثاً: القومندان نجيب بيك الحوراني، شهيد معركة مسوس في (٣/ ٣/ ١٩١٤):

نسبه ونشأته:

اسمه بالكامل نجيب بيك ابن (الشيخ) سعد باشا العلي، (وجيه) عشيرة البطاينة (في بلاد عجلون) من الضر – غام من الفداغة من سنجارة من قبيلة شُمّر الطائية[١] ، وهي زعيمة ناحية بني جهمة في اربد شمال الأردن، ونخوة هذه الناحية شُمّر[٢] .

ولد عام ١٨٨٢م في بلدة البارحة شمال الأردن في نواحي مدينة أربد، والتي كانت تتبع قائمقامية جبل عجلون، ونشأ في بيت والده الشيخ سعد شيخ مشائخ بني جهمة، وهو من أهم زعماء منطقة الشمال، حيث كان يقصده القاصي والداني لحل الخلافات والمنازعات والعمل على إصلاح ذات البين، وعُين أيضًا عضواً في مجلس إدارة القضاء باعتماد من السلطات التركية، كما حضر العديد من المؤتمرات واللقاءات التي تندد بالاستعمار الإنجليزي والفرنسي في المنطقة العربية والإسلامية، ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر أم قيس ومؤتمر قم، اللذان شارك فيهما العديد من الزعامات المحلية ومشائخ الأردن.

وهكذا كان والده شيخاً وزعيماً عشائرياً معروفاً له مكانة مرموقة في الأردن، وبلدات حوران جنوب دمشق، كما عرف عن الشيخ سعد البطاينة مواقفه القومية ومساندته للثورة السورية ضد الفرنسيين وخاصة ثورة العرب وحوران.

نجيب الحوراني (الطالب/ الضابط):

تعلم المجاهد نجيب في طفولته مبادئ القراءة والكتابة وحفظ شيئاً من القرآن في مدرسة (مكتب) القرية لتعليم القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مدرسة اربد الابتدائية، وأكمل دراسته الإعدادية والثانوية بمدرسة عنبر بمدينة دمشق بسوريا.

في عام ١٩٠١م استأذن والده وسافر إلى الأستانة بتركيا لمتابعة دراسته بالكلية العسكرية، وتمكن من دخول مدرسة العشائر، وهي مدرسة عسكرية تركية لا تكلف الطلبة العرب أي نفقات مالية.

في عام ١٩٠٥م تخرج ضابطا برتبة ملازم ثان، وكانت سريته متمركزة في قرية المزه من ضمن الجيش المرابط في دمشق، واستمر هناك حتى عام ١٩١٠ حيث كلفت السرية التي كان يتبعها بالتوجه إلى اليمن لإخماد ثورة الإمام يحي في تلك البلاد، وقد كان الحوراني ضابطاً مميزاً عرف بالالتزام والتخطيط النوعي والقدرة على القيادة، وقد تدرج في الرتب حتى أصبح قائداً لقوات الهجانة في العقبة، وكان قائداً عسكرياً متنقلاً بين ودمشق والعقبة لامتلاكه كل المؤهلات الأكاديمية والعسكرية والثقافية التي تؤهله لهذا الموقع.

لقد انتسب نجيب خلال عام ١٩٠٩م إلى جمعية القحطانية وهي جمعية سرية أسسها المناضل سليم الجزائري، والتي تضم في عضويتها عدداً من الضباط العرب في تلك الأثناء.

---

(١) تقرير عن المجاهد نجيب الحوراني، موقع شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٠١٢م، ص ١٧ – ٣٣.

(٢) شارك المجاهد، زيد الشمري القادم من السعودية في الحرب الليبية ضد الإيطاليين والتقى بشيخ المجاهدين عمر المختار، وقال له شيخ المجاهدين: "مرحباً يا أخي من بلاد أجدادي، من أي العرب أنت؟ قال زيد الشمري، أنا من شُمر، قال عمر المختار: آه من قوم حاتم الطائي، إنهم اسخى الناس يداً ونفساً في سبيل الله".

- للمزيد أنظر: فرج نجم، إبطال وملاحم، بنغازي، ليبيا، (ب. ت).

دور القائد نجيب الحوراني في مقاومة الاحتلال الإيطالي لولاية طرابلس وبرقة:

في عام ١٩١١م تطوع نجيب الحوراني ضمن الجيش العثماني الذي خاض معارك الدفاع عن ولاية طرابلس ليبيا، ضد المستعمر الإيطالي، وقد تميز بالشجاعة والإقدام والجلد على مقارعة عدو لا يعرف الرحمة والشفقة، فقد تناقل الناس بطولات هذا المجاهد الكبير في طول البلاد وعرضها، لقد كان ضابطاً محنكاً ومقاتلاً شرساً، كما كان ورعاً وتقياً يحتذى به وبسلوكه وأخلاقه وصفاته.

لقد بدأ هذا المجاهد فترة نضاله في إيالة طرابلس بقيادته لعدد من المعارك الكبرى في غرب البلاد وجنوبها، فبالرغم من ظروف المجاهدين الصعبة ونقص الغذاء والكساء والذخيرة والسلاح، إلا أن المجاهدين قاموا بالاستعداد لمقاومة العدو، وحفروا الخنادق واحتموا بها، وبدءوا في رشق القوات الإيطالية ببنادقهم كلما اقتربوا من أماكنهم، وبكل الإيمان بالله والوطن خاض هذا الفارس المقدام وجنوده من المجاهدين العرب الليبيين وأفراد من الحامية التركية بطرابلس خاضوا معارك عديدة في غرب ليبيا رفقة عدد من زعماء ومشايخ القبائل بالمنطقة، ومن بينهم الشيخ (الشهيد) محمد عبد الله اليوسفي، ومن هذه المعارك على سبيل المثال:

معركة الشب إلى الشرق من بلدة براك في منطقة فزان بتاريخ ١٠/ ديسمبر/ ١٩١٣م، ومعركة أشكدة وتقع على بعد عشرين كيلو متراً شرقي براك في وادي الشاطئ بجنوب ليبيا بتاريخ ١٣/ ديسمبر/ ١٩١٣م، ثم معركة محروقة بتاريخ ٢٤ من نفس الشهر، والتي استشهد فيها المجاهد الكبير محمد عبد الله البوسيفي، وهو من أشجع وأنشط منظمي حركة المقاومة الليبية.

وبانتهاء معركة محروقة تقدمت القوات الإيطالية المدججة بالأسلحة والمعدات الحربية بقيادة العقيد مياني لاحتلال بقية وادي الشاطئ وقد انقسم سكان الشاطئ إلى ثلاث فرق، فريق استكان وبقي تحت حكم الإيطاليين، وفريق آخر انسحب نحو الزلاف جنوباً ابتعاداً من وجه الإيطاليين وتحين الفرصة للانقضاض عليهم مرة أخرى، أما الفريق الثالث (ومن بينهم المجاهد نجيب الحوراني) فقد هاجر باتجاه الشرق واستقر بالنوفلية (باتجاه سرت واجدابيا ثم بنغازي)، وشارك هذا الفريق في العديد من المعارك التي وقعت في هذه المناطق[١] .

وبعد معركة جوليانا الشهيرة في ١٩/١٠/١٩١١م واحتلال وسط مدينة بنغازي، سيدس حسين، والبركة، وسيدي خريبيش والكيش، دفعت القوات الإيطالية المجاهدين إلى مناطق خارج المدينة، مثل القوارشة وبنينة والهواري والكويفية... الخ.

حيث قرر الأهالي من جانبهم استئناف القتال، وكان من بين القادة البارزين في تلك الفترة الضابط نجيب الحوراني، وبعد وصوله على بنغازي تمكن من تجميع عدد من المجاهدين في النقطة التي أخذت اسمه (نقطة نجيب المذكورة)، وقام بتنظيم صفوفهم وتوزيع الاختصاصات عليهم، وتدريبهم على السلاح الذي كانوا يشترونه من تجار يونانيين آنذاك.

(١) علي البوصيري علي، (التوغل الإيطالي في الدواخل عقب صلح لوزان)، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، ص ١٣٣.

كان نجيب يعسكر بقواته في (نقطة نجيب) التي سميت باسمه، وهي عبارة عن مرتفع بسيط يقع في منطقة الفعكات أمام قرية القوارشة جنوب بنغازي بعدة كيلو مترات، وهذه النقطة وضعت فيها الكثير من الاستحكامات والخطوط الأمامية للدفاع عن سلوق وجردينا والنواقية وغيرها من المناطق المجاورة من الزحف الإيطالي على تلك القرى والبلدات المجاورة.

ويذكر المجاهد سليمان عبد السلام المجريسي[١] "أنه كان يقوم بنقل الرسائل ذات الصبغة السرية ما بين نجيب الحوراني وعمر الكيخيا، الذي كان يترأس لجنة تفاوض الطليان وتحاول منعهم من دخول المدينة، كما أن هذا المجاهد ينقل الرسائل في ياقة قميصه، أو يكتبها على ملابسه الداخلية أو على جلده، وذلك خشية أن تقع في أيدي العدو الإيطالي.

أما وهبي البوري فيقول:

"إن نجيب الحوراني ضابط تركي من أصل سوري، تولى قيادة معسكر الفعكات (جنوب بنغازي) في الوقت الذي كان يتولى عزيز المصري قيادة دور بنينا، وقد استشهد نجيب في إحدى المعارك ضد الإيطاليين، وشارك في جنازته عدد ضخم من المواطنين واشتهر بالشجاعة وكرم الأخلاق[٢] .

زواجه من سيدة ليبية:

تزوج المجاهد نجيب الحوراني عند قدومه إلى برقة من فتاة ليبية للعائلة السنوسية تسمى فائزة عبد الله السنوسي، وقد عاد بها إلى أهله في منطقة البارحة باربد، وتركها هناك، ورجع إلى ميادين القتال بعد شهور قليلة من زواجه بها.

مكثت هذه السيدة في الأردن، وبعد استشهاده تزوجت من الشيخ عُقله انصيرات أحد أعيان المنطقة، وأنجبت ولدين، هما شايش وفيصل، وفي عام ١٩٦٥م حضرت هذه السيدة وابنها فيصل إلى ليبيا لزيارة أهلها، والتقى فيصل بأخواله في منطقة مسوس، وزارا قبر الشهيد نجيب الحوراني في تلك المنطقة.

ومما يذكر أن لهذه السيدة عدة أخوة كانوا قد شاركوا في ملحمة الجهاد الليبية البطولية ضد الطليان، واستشهد منهم اثنان، وهما المهدي والسنوسي أبناء الشيخ عبد الله السنوسي (رحمهم الله).

وفي ٢ تشرين أول ١٩٧٥م انتقلت هذه السيدة إلى رحاب الرفيق الأعلى ودفنت بالأردن، وتشاء الأقدار أن تموت الليبية وتدفن بالأردن، ويستشهد الضابط الأردني بالجيش التركي في ليبيا ويدفن بها.

ويذكر أن السيد الدكتور عارف البطاينة (شقيق الشهيد نجيب الحوراني) وزير الصحة في الأردن منذ سنوات، كان قد قام بزيارة إلى ليبيا، وخصصت له السلطات الليبية طائرة خاصة لزيارة قبر شقيقه في بلده مسوس جنوب بنغازي، تكريماً لذاكرة الطيبة، وقد التقى بمسئولي وأعيان البلدة وعرفوه على قبر الشهيد ورفاقه من الشهداء في تلك المعركة[١]

(١) رواية المجاهد سليمان المجريسي، سلسلة روايات شفوية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ليبيا، (ب ت).

(٢) وهبي البوري، بنغازي في فترة الاستعمار، مجلس الثقافة العام، بنغازي، ص ٣٨.

وبعد أن خاض بعض المعارك بالمنطقة رحل المجاهد نجيب الحوراني ببعض قواته في اتجاه الجبل الأخضر، ورافقه المجاهد عمر حمد الفلاح، الذي وفر عدد ثمان جمال لنقل أمتعة وذخائر القائد نجيب ومن معه من الرجال، وكان قد اشترى منها أربع جمال، والأربعة الأخرى جاءت عن طريق العائلة لدعم الجهاد والمجاهدين(٢) .

وعندما وصل نجيب إلى موقع أبي غسال في الجنوب الشرقي من تاكنس بالجبل الأخضر، عاد المجاهد عمر الفلاح وترك ابن عمه المجاهد عبد الرحيم بو ياسين الصابرة السعيطي(٣) يقاتل مع نجيب الحوراني وجنوده، كما دعم الشيخ عمر معسكر هذه القائد بأن تبرع له بعدد أربع جمال من جماله الثمانية المذكورة(٤) .

وقد خاض المجاهد نجيب عدة معارك في شرق ليبيا، نذكر منها على سبيل المثال:

معركة بنينا بقيادة عزيز بك المصري، وبمشاركة نجيب بك الحوراني:

بعد توقيع معاهدة أوشي لوزان في ١٨/ ١٠/ ١٩١٢م ظل الوضع متجمداً على الجبهة حول بنغازي باستثناء بعض المناوشات والمضايقات المستمرة من قبل المجاهدين، وتميزت بالجرأة والاقتحام لمواقع التحصينات الإيطالية وخاصة في شرق المدينة بمنطقة الوحيشي، وأخذت المدفعية التركية تقصف المواقع الإيطالية بشكل أثار الرعب في نفوس القوة الإيطالية. وعليه فقد خرج الجنرال (دي السندور) في صباح ١٤/ ٤/ ١٩١٣م بقوة كبيرة تتألف من ٥٦٠٠ مسلح بالبنادق و ٣٠٠ بالحراب، و ٢٠ قطعة مدفعية لمهاجمة القوات الوطنية في المنطقة، وقد هبت نجدات لدعم القوة التركية والمجاهدين من عرب المنطقة، وقد بلغت المعركة أقصى درجات العنف في المنطقة الواقعة بين منطقة الجخ وسيدي مفتاح ثم الأجّم وبنينا والحميرة وغوط الخماسين، واستمرت حامية الوطيس طوال خمس ساعات.

وقد دمر العدو قرية سيرة الحميرة انتقاماً وحقداً على ما تردد من أن المجاهدين سيجعلون من بنينا (بنغازي الجديدة). وتقول المصادر أن الخسائر كانت ٨ قتلى و ٤٤ جريح بينهم ضابطان كبيران، واستشهد من الجانب الوطني (٥٠) وجرح (٢٠٠) مجاهداً(٥) .

---

(١) رواية الدكتور عاطف البطاينة في تقرير نقل عن نجيب الحوراني في ليبيا للكاتب زياد البطاينة أحد أقارب هذا المجاهد، (ب. ت).

(٢) رواية الحاج عقيلة الفلاح، النواقية في ١/ ١١/ ٢٠١١م.

(٣) لا زال أحفاده لابنته وهم عائلة أهبولة من قبيلة العمارنة العواقير مقيمين بمنطقة النواقية، بنغازي.

(٤) رواية الحاج الصالحين عمر الفلاح، أجراها الباحث في ٢٠/ ٨/ ١٩٩٥م، النواقية، بنغازي.

(٥) التليسي، معارك الجهاد، مرجع سابق، ص ١٣٤.

ورد في بعض مصادر عائلة البطاينة التي ينتسب لها المجاهد نجيب الحوراني بأنه قد شارك في معارك الشب، واشكدة، ومحروقة، في شهر ديسمبر ١٩١٣م لصد الهجوم الإيطالي بقيادة الجنرال مياني المتجه من طرابلس إلى فزان. ومن جهة أخرى فقد أشار الشيخ عقيلة الفلاح في روايته عن المجاهد الحوراني بأنه شارك في معركة بنينا شرق بنغازي بتاريخ ١٤ أبريل ١٩١٣، وفي رأيي أنه لكي يستقيم هذا العرض فهناك احتمالين: إما أن يكون المجاهد نجيب الحوراني قد استغل فترة الهدوء النسبي في المواجهات مع قوات الاحتلال الإيطالية حول بنغازي في شرق ليبيا، وذلك اعتباراً من بداية شهر أغسطس ١٩١٣، وحتى نهاية العام، والتحق بالجبهة الغربية لتقويتها وتصليب عودها، حيث شارك في معارك غرب ليبيا المذكورة، ثم عاد إلى المنطقة الشرقية لمواصلة الجهاد ضد الإيطاليين. أو أنه شارك في

ويذكر شهود عيان بان القومندان نجيب الحوراني كان قد شارك في هذه المعركة ورأى أحد رفاقه يسقط عن فرسه فظنه قد استشهد، وعندما التقيا بعد مدة ذكره بهذا الموقف، واعتقد أنه لم يعد يراه ثانية في هذه الحياة.

٢- معركة أم اشخنب: في تاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٤م:

تقع على بعد نحو ٤٠ كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من بنغازي، وفي أثناء زحف القوات الإيطالي على منطقة بيضا في فبراير ١٩١٤م من أجل احتلال المواقع جنوبي بنغازي، اصطدمت عند زاوية أم اشخنب يوم ٢٦ فبراير ١٩١٤م بقوة المجاهدين، ونشبت معركة حامية، وتزعم المصادر الإيطالية أنه قتل فيها (١٧٩) مجاهداً، وقد أقام الإيطاليون حامية في الموقع بعد احتلاله، ولكنهم لم يلبثوا أن جلوا عنه في يونيو ١٩١٥م تحت ضغط المقاومة الوطنية[١] .

وكان المجاهد نجيب الحوراني من ضمن قادة هذه المعركة، حيث خاض معركة الشليظيمة بعد يومين فقط من المعركة المذكورة.

٣- معركة الشليظيمة، ٢٨ فبراير ١٩١٤م:

يقول د. خليفة التليسي نقلاً عن الموسوعة الحربية الإيطالية: أن الشليظيمة موقع بالمنطقة الجنوبية من بنغازي، واتخذ منه المجاهدون مركزاً لتجمعهم لمواجهة احتمالات زحف العدو نحو المناطق الداخلية من برقة، وعلى إثر ما ترامى إلى العدو عن وجود قوة تقدر بحوالي ألف وخمسمائة مسلح، ترابط في هذا الموقع، قام الإيطاليون بتشكيل كتيبتين خرجتا في وقت واحد من قواعدهما في بنغازي يوم ٢٦ فبراير ١٩١٤م نحو زاوية أم شخنب وسلوق، للقيام بعملية تطويق مفاجئ، ودخل المجاهدون في معركة عنيفة ضد الطلائع الأولى لهذه القوة يوم ٢٨ فبراير ١٩١٤، وأبدوا مقاومة عنيفة، ولكنهم فوجئوا بقوة أخرى تحاول الالتفاف عليهم وتطويقهم، مما دفعهم إلى أن يحبطوا هذه المحاولة بالتحول إلى مواقع أخرى عند زاوية مسوس وآبار الخرّاز، وتقول المصادر الإيطالية أن المجاهدين قد تركوا على أرض المعركة ما يقرب من مائتي شهيد، واتخذ الإيطاليون من الشليظيمة حامية لهم وقاعدة لعملياتهم العسكرية في المنطقة، وكانت مرحلة من مراحل الزحف والانطلاق نحو اجدابيا[٢] .

لقد كانت معركة الشليظيمة فتحاً عظيماً للمقاومة الليبية، وكان الثوار أطول هاماً من النخيل الليبي وأقوى، وقد قدم الشعب الليبي كوكبة من الشهداء في هذه المعركة ارتوت بدمائهم الزكية لتنبت الحرية والكرامة.

كان القدمندان نجيب الحواري قائد هذه المعركة ويتقدم المجاهدين، وقد قاتل ببسالة وقد جرت في هذه المعركة، التي تكبد فيها العدو الإيطالي أكثر من ثلاثمائة قتيل، من حين بلغ عدد الشهداء نحو مائتي شهيد.

المعارك الأولى حول مدينة طرابلس خلال عام ١٩١١ لبعض الوقت خلال عام ١٩١٢ فقط، ثم غادرها إلى شرق البلاد، وربما قد اختلط الأمر على عائلته فذكرت أنه شارك في معارك غرب ليبيا ولم تذكر معركة بنينا حول بنغازي بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩١٣م، وإن كنت أرجح الاحتمال الأول، وقد كانت كل معاركه وإقامته وزواجه واستشهاده بشرق ليبيا كما أسلفنا.

(١) التليسي، معارك الجهاد، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٣٣٣.

ورغم الجرح الذي أصابه كان القائد نجيب الحوراني يستعد لخوض معركة (الكرادسي)، وقد أبلى فيها بلاءً حسناً، وخلال عمليات الكر والفر تم قتل نحو سبع ضباط طليان، وعدد كبير من الجنود، كما دمرت كمية كبيرة من أسلحة العدو الإيطالي وذخيرته وآلياته، كما أحرقت أعداد من سياراته العسكرية، وبعض مواد الإمداد والتموين والمستلزمات الصحية، وقد جرح المجاهد نجيب في هذه المعركة للمرة الثانية، وذكر شهود عيان أنه أخرج الرصاصة من ساقه اليسرى دون مساعدة من أحد، واستمر في قتال القوات المعادية حتى تم إجبارها على الانسحاب من أرض المعركة.

لقد قاتل إلى جانب قائد المقاومة الوطنية الليبية في مراحلها الأولى السيد أحمد الشريف السنوسي، وقد جمعت بين المناضلين المجاهدين صداقة عميقة، فقاتلا جنباً إلى جنب، وواجها الموت غير مرة معاً، ولا شك أن ذلك قد عزز مكانة الحوراني عند الشعب الليبي الذي استشهد دفاعاً عن ترابه.

٤- معركة مسوس، ٣ مارس ١٩١٤م:

مسوس قرية تبعد نحو ثمانين كيلو متراً جنوب شرق سلوق، وبها زاوية سنوسية، فبعد معركة الشليظيمة التي جرت في ١٨ فبراير ١٩١٤م، تحول بضع المجاهدين إلى زاوية مسوس، حيث هاجمتهم في يوم ٣ مارس ١٩١٤م القوات الإيطالية التي اصطدموا بها بقيادة القومندان نجيب الحوراني، ودخلوا في معركة حامية، استشهد فيها عدد كبير من المجاهدين وفي مقدمتهم الشهيد نجيب الحوراني، وقد قامت القوات الإيطالية بتدمير زاوية مسوس، وفي نفس الوقت قتل عدد كبير من جنود الاحتلال في هذه المعركة.

دور القومندان نجيب في معركة مسوس واستشهاده فيها:

يتحدث الطيب الأشهب عن عدة معارك خاضها المجاهدون بقيادة السيد أحمد الشريف في مناطق الزويتينة واجدابيا، كمعارك الكيروانة (وتعني القافلة) وبيضا وسواني العبار وساونو، ويقول:

"لقد انتصر العرب بقيادة السيد أحمد الشريف على الجنرال اميليو، الذي رجع بخفي حنين، وفي نفسه ما فيها من الخيبة لعدم قبضه على السيد أحمد الشريف، ورجع منكود الحظ، وقد ترك أشلاء موتاه تغطي وجه الأرض، وطعمه لذئاب الفلاة، وكانت هذه المعركة التي شارك فيها منتجع عائلة العبار خاتمة المعارك ببرقة الغربية في عهد السيد أحمد الشريف".

فقد أخلى العدو جميع مراكزه التي احتلها في برقة الغربية، والتي ألبسته جلاليب الذل والهوان، وسجل منها صفحات الخزي الخسران، وهناك تحول السيد أحمد الشريف إلى زاوية مسوس للمرة الثانية ومعه منتجعات عائلة سليمان العواقير، فاستقبله رئيس الزاوية محمد يحي، وشيوخ عائلة الكزة (العواقير)، واتخذ من وادي المعقور مقراً لمعسكره[١] .

يوم المعركة:

وفي صباح يوم معركة مسوس نهض المجاهد البطل نجيب مبكراً وأصدر أوامره لجنوده بأن يكونوا على استعداد لمواجهة العدو الإيطالي الذي قرر مهاجمة الدور ورحلان عائلة الكزة المجاورة للدور، وارتدى ملابسه العسكرية، وتقلد سلاحه ونياشينه وأوسمته، وتحدث فيمن حوله من عائلة العمارنة من قبيلة العواقير، الذين كانوا يقاتلون معه ويحافظون عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وبعد أن حثهم على الجهاد، وقال: "يا أخوتي إذا ما استشهدت اليوم فهو من حظي، وإذا لم استشهد في هذه المعركة سيكون من حظكم أنتم". وهذا يدل على إخلاص هذه العائلة بشكل خاص وقبيلة العواقير بشكل عام على تفانيهم في الجهاد وفي الدفاع عن المجاهد نجيب وحمايته واستقباله بين ظهرانيهم، وأراد من هذه المقولة أن يكافئهم على صنيعهم نحوه إذا ما كان في العمر بقية، فعلى الأقل كان يريد أن يشيد بتلك الجهود على رؤوس الأشهاد، ولكن إرادة الله شاءت بأن يفوز بالشهادة في ذلك اليوم الكبير.

وقد روى شاهد عيان[٢] بأن المجاهد نجيب الحوراني قد خاض معركة ضارية وغير متكافئة مع القوات الإيطالية، وعندما أصيب إصابة قاتلة روى أحد الجنود المقاتلين تحت إمرته أنه قد سمع الشهيد نجيب وهو يحتضر يقول لمن حوله: "مدوا لي عنقود

(١) الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٢) كان من ضمن المجاهدين في الدور تحت قيادة الشهيد نجيب الحوراني كل من محمد الذباح العمروني، الجافل بواقفيفة العمروني، عبد العزيز القلال العمروني.

هالعنب"[١] ، ويشير إليه بيده، وهذه من كرامات الله سبحانه وتعالى على المجاهدين والصديقين والشهداء بأن يرزقوا من ثمار الجنة **(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)**. صدق الله العظيم.

وكما ذكر الراوي أيضاً أنه شاهد بعينه سبطانة بندقية الشهيد نجيب، وهي نوع دقرة أم احريبة حمرا ملتهبة من كثافة النيران التي كان المجاهد يصبها على الأعداء في ذلك اليوم الرهيب[٢] .

لقد أصيب نجيب الحواري برصاصتين في هذه المعركة، أحدهما في صدره الثانية في فخذه، وكانت إصابات خطيرة، فأخرج من أرض المعركة إلى منزله للعلاج، ولكن إصابته هذه المرة كانت قاتلة، فقد فارق الحياة في اليوم التالي.

يقول الطيب الأشهب: "دارت معركة طاحنة بين الفريقين في موقع وادي قمرا قرب مسوس، وأسفرت عن خسارة العدو، وقد خسر المعسكر خسارة فادحة بموت القومندان (نجيب بك الحوراني) الذي أخلف السيد عبد الله الأشهب بعد إصابته بجراحات الزمتة الفراش، فبكى المجاهدون نجيب بك لماله بينهم من المكانة، وقتل (استشهد) أيضاً الشيخ أبو زيد اللواطي وهو من الأبطال، لقد حمل المجاهدون نجيباً في محفل حافل إلى حيث السيد أحمد الشريف السنوسي على مسافرة عشرة كيلو مترات من أرض المعركة، وهناك أقيمت عليه صلاة الجنازة، وأمر السيد أحمد الشريف بأن يدفن بمقبرة زاوية مسوس[٣] .

وقد عم الأرض الليبية حزن شديد، وبكاه الرجال والنساء حتى صار الحزن على فقده مضرب المثل، وظل القائد أحمد الشريف السنوسي يذكره ويترحم عليه وهو معتصم بالجبل الأخضر، وحتى في منفاه بالحجاز إلى تاريخ وفاته، رحمهم الله جميعاً.

وقد ذكر الدكتور فرج عبد المنعم نجم في كتابه أبطال وملاحم عن المجاهد الشهيد نجيب الحوراني ما يلي:

---

(١) أي اعطوني عنقود العنب الذي كان يراه أمامه، وهو في الصحراء وبأرض المعركة!! فلا شجر ولا ثمر على أرض الواقع.

(٢) رواية الأستاذ بو سيف الصابر عتقة العمروني، الأبيار، في ١١/ ١١/ ٢٠١١م.

(٣) الأشهب، برقة بين الأمس واليوم، ص ٢٨٢.

وممن قيل فيهم من شعر البادية المجاهد العربي الشهيد نجيب الحوراني من مواليد عجلون بالأردن، التي كانت جزء من قضاء حوران، لذلك سمى بالحوراني، كانت المنطقة كلها تعرف حينئذ ببلاد الشام، وقد استشهد في معركة الحقيفات سنة ١٩١٥م[١]، وكان حينها أحد الضباط العرب العثمانيين الذين رفضوا معاهدة أوشى لوزان، وأصر أن يبقى مع إخوانه الليبيين ويقاتل دفاعاً عنهم، ولم يهن عليه تركهم بعد هذه العشرة، فتولى قيادة دور مسوس وقتل في معركة الحقيفات والمعروفة برحيل عبد السلام الكزة، ولم يهن على المجاهدين أن يتركوه مجندلاً في العراء، فحملوه إلى مثواه الأخير في قرية مسوس، وعندما كان محمولاً على جمل رأته إحدى البدويات واللاتي كن ينتظرن قدوم المجاهدين، وكانت هذه المرأة تصرخ من هول المنظر، ففاجأها أحد المجاهدين وغيرها من النساء بقذارة تقول: "احتفلي بمير الدور يا مسوس أهو جاك الجمل"، فما كان من النساء إلا أن زغردن فرحا بنيل أمير الدور وقائد معسكر المجاهدين نجيب الحوراني الشهادة.

فالضابط العربي نجيب الحوراني من الشخصيات البارزة والتي تركت بصماتها على بادية برقة، فقد سمي عدد كبير من سكان برقة أولادهم باسم نجيب الذي لم يكن معروفاً بينهم في السابق، وقال أحدهم متغنياً ببسالة نجيب الحوراني:

انعد غلاهم كيف نجيب   اللي ما عازا فيه طبيب

(١) استشهد القومندان نجيب في معركة مسوس كما ذكرنا في العام السابق لمعركة الحقيفات، وذلك حسب ما ورد في كتاب برقة بين الأمس واليوم الطيب الأشهد المعاصر لتلك الأحداث.

١- من مقولات القائد نجيب الحوراني:

"إن الجنود الطليان جبناء، والمهم في الأمر هو الصمود وتزويدنا بالأسلحة والإمدادات العسكرية، ويعتبر هذا البطل أول شهيد عربي في الجيش التركي على الأرض الليبية، كان صاحب رؤية وحدوية، حيث بلور الهوية القومية والإسلامية من أجل استقلال وبناء وطن حر ومستقل.

ومما يذكر في هذا الصدد أن المجاهد عمر الفلاح كان قد تقبل التعازي في صديقه ورفيقه نجيب الحوراني، وحضر – مراسم دفنه في مقبرة الشهداء بزاوية مسوس، فله الرحمة والغفران.

ونختم بمثل شعبي في ليبيا يقول:

أنتي (أي يا امرأة) تبكي فلانا ، وكأنه نجيب الحوراني.